

عاشق الشهاد



حب الشهادة في كلمات شهيد الأمة



مركز الإتحاد للأبحاث و التطوير

عاشق الشهادة

حب الشهادة في كلمات شهيد الأمة

في قلب الصراعات الكبرى، تبرز مفاهيم قادرة على إعادة تعريف موازين القوى، ليس بالقوة المادية، بل بقوة العقيدة. ومن بين هذه المفاهيم، تحتل "الشهادة" مكانة مركزية في العديد من الثقافات والأديان، لكنها تكتسب في الفكر الشيعي المعاصر، وخصوصاً في سيرة وخطاب سيد شهداء الأمة، السيد حسن نصر الله، بعداً وجودياً ووجدانياً فريداً يتجاوز مجرد التضحية بالنفس ليلبغ مرتبة "العشق". هذا المصطلح، المشحون بالدلالات الروحية، ليس مجرد خيار لغوي، بل هو مفتاح لفهم منظومة فكرية متكاملة استطاعت أن تبني حركة مقاومة وتدير صراعاً ممتداً لأكثر من أربعة عقود في واحدة من أكثر مناطق العالم تعقيداً.

منذ انطلاقة المقاومة الإسلامية في لبنان في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي عام 1982، تشكّل خطاب السيد نصر الله، الذي تسلم قيادتها عام 1992، ليصبح ليس فقط استراتيجياً سياسياً وعسكرياً، بل مربياً وقائداً روحياً لبيئة كاملة. وفي صلب هذا الدور التربوي، يكمن مفهوم "عشق الشهادة" الذي عمل على ترسيخه كحجر زاوية في هوية المقاومة، ومصدر قوتها الأعماق، وسلاحها الذي لا يُقهر. هذا العشق ليس دعوة للموت، بل هو، كما سيوضح هذا البحث، فلسفة متكاملة للحياة، ترى في الموت الاختياري الواعي في سبيل قضية عادلة ذروة الحياة الحقيقية وقمة الانتصار. يهدف هذا البحث الموسع إلى الغوص في أعماق هذا المفهوم كما يتبلور في كلمات وخطابات السيد حسن نصر الله (قدس) على امتداد أربعين عاماً (1984-2024)، معتمداً على نصوص متعددة (محاضراته - مقابلاته - دروسه - جلساته العامة... الخ).

سنسعى من خلال تحليل دقيق ومفصل لهذه النصوص إلى تفكيك الأبعاد المتعددة لهذا "العشق"، لفهم أسسه الروحية، وتجلياته الشخصية.

ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن "عشق الشهادة" في خطاب السيد نصر الله هو بنية فكرية اعتقادية، تحول الموت إلى فعل إرادي إيجابي، ومن نهاية مأساوية إلى بداية أبدية، ومن رمز للهزيمة إلى جوهر للنصر. هذا التحويل الجذري في المعنى هو ما يمنح المقاومة زخمها وقدرتها على الصمود والتحدي.

تم تقسيم هذا البحث إلى أربعة أقسام رئيسية، مع إضافة محاور فرعية داخل كل قسم:

القسم الأول: معنى عشق الشهادة في منهج السيد نصر الله. سيتناول هذا القسم الأسس المفاهيمية، متتبّعاً الأبعاد الروحية والعقائدية والفلسفية للمصطلح. سنتعمق في كيفية تعريفه كعلاقة حب وشوق مع الله، وكيف يتم تجديده في النموذج الكربلائي الخالد، وكيف يُعاد تقديمه كفلسفة تعتبر الشهادة هي الحياة الحقيقية والانتصار المطلق.

القسم الثاني: صفات ولياقات السيد حسن الشخصية التي تؤكد عشقه للشهادة. سيركز هذا القسم على البعد الذاتي والشخصي، مستعرضاً ليس فقط تصريحاته المباشرة التي يعبر فيها عن أمانيه بالشهادة، بل أيضاً تجاربه الحياتية،

وعلى رأسها استشهاد نجله البكر، التي تمنح خطابه مصداقية استثنائية. كما سيتناول زهده في مظاهر السلطة واستعداده الدائم للموت الذي يعكس تبنيه الكامل لهذه الثقافة.

القسم الثالث: دلالات عشق الشهادة عند السيد نصر الله. سيبحث هذا القسم في الوظائف المتعددة لهذه الثقافة. سنتوسع في تحليل أبعادها الاستراتيجية كسلاح ردع نفسي، وأبعادها الاجتماعية والسياسية كأداة لبناء "مجتمع المقاومة" وتعزيز الشرعية، وأبعادها النفسية في التغلب على الخوف وصناعة الأمل من رحم المأساة.

القسم الرابع: السيد نصر الله كقدوة لعشاق الشهادة ومربٍ للشهداء. سيسلط هذا القسم الضوء على الدور التربوي والقيادي للسيد نصر الله. سنحلل كيف يحول خطابه إلى منصات تربوية، وكيف يقدم الشهداء كنماذج يُحتذى بها، وكيف يغرس في الأجيال المتعاقبة فكرة الاستمرارية في مسيرة التضحية التي لا تنتهي.

القسم الأول: معنى عشق الشهادة في منهج السيد نصر الله

إن مفهوم "عشق الشهادة" في خطاب السيد حسن نصر الله ليس شعارًا عابرًا، بل هو منظومة فكرية متكاملة، ذات جذور روحية عميقة، ونماذج تاريخية مقدسة، وأبعاد فلسفية تعيد تعريف علاقة الإنسان بالحياة والموت. لفهم هذا المعنى بعمقه، لا بد من تفكيكه إلى مكوناته الأساسية التي تتكرر وتبلور في خطابه على مدى عقود.

المحور الأول: البعد الروحي - الشهادة كاسمى علاقة عشق مع الله

في جوهر منهج السيد نصر الله، لا تنبع الشهادة من مجرد التزام بتكليف شرعي فقط، بل من علاقة حب شخصية وعميقة بين العبد وربّه. هو يستخدم مصطلح "العشق"، وهو أعلى درجات الحب، ليصف هذه العلاقة التي تجعل من لقاء الله عبر الشهادة الغاية الأسمى والأمنية الأعلى.

في مرحلة مبكرة جدًا من مسيرته، عام 1985، أرسى هذا الأساس الروحي بوضوح تام، معتبرًا أن الشهيد يتجاوز علاقة العبودية التقليدية إلى علاقة الحب والشغف:

"الشهادة هي اختيار من الإنسان لله واختيار من الله للإنسان، والشهيد لا ينطلق فقط من موقع التكليف الشرعي ومن موقع الوظيفة الشرعية، بل يتجاوز في علاقته مع الله علاقة محض العبودية البعيدة عن الحب والعشق، فيتحول الله في حياة هذا الإنسان إلى مطلق وكامل وعظيم يرى فيه الإنسان كل شيء".¹

هذا العشق الإلهي يولد حالة من الشوق للقاء المحبوب، فتصبح الحياة الدنيا مملذاتها وقيودها سجنًا للعاشق، ويصبح الجسد المادي حجابًا يفصل بينه وبين ربه. ويصف السيد نصر الله هذه الحالة:

..."هذا العاشق... يضيق صدره في هذه الدنيا، لماذا؟ لأنه يريد أن يرحل إلى الله ويقول إنني مشتاق إلى الحسين (ع) لقد سبقني الشيخ راغب حرب وفلان وفلان.. ولا أطيق الحياة في دنيا ليس فيها هؤلاء".²

1 العهد، العدد 42، 12-4-1985

2 العهد، العدد 73، 14-11-1985

من هذا المنطلق، تصبح العملية الاستشهادية، التي قد تبدو فعلاً عديمًا للبعض، في نظره تجسيدًا لهذا الشوق، حيث يقدم العاشق جسده طوعاً لتمزيق هذا الحجاب والوصول إلى الوصال التام:

"العملية الاستشهادية لا تحتاج إلى حديد ومتفجرات، بل تحتاج إلى عشق وحب وارتباط بالله وعالم الملكوت، وهذه العملية هي التي تقتل الإسرائيليين".³

"هكذا يكون الإنسان الذي يركب سيارته ليمزق جسده في سبيل الله لأنه يشعر بأن هذا الجسد يحول بينه وبين ربه".⁴

هذا البعد الروحي ليس مجرد فكرة نظرية، بل هو المحرك الأساسي الذي يفسر قوة المقاومة. ففي عام 2019، وفي مواجهة العقوبات الاقتصادية، يؤكد أن سر قوة المقاومة ليس في المال أو السلاح، بل في هذا الإيمان وهذه الروحية:

"سر قوتنا... هو في هذا الإيمان، في هذه الروحية السارية في المقاومة وبيئة المقاومة و جمهور المقاومة".⁵

وفي عام 2023، يعود ليصف القائد قاسم سليمان بأنه كان مدفوعاً بـ "عشق الله ومحبة الله وشوق لقاء الله وطلب الشهادة". هذا يؤكد أن الشهادة في منهجه هي التتويج الطبيعي لمسيرة المؤمن الذي وصل إلى قمة الحب الإلهي.

المحور الثاني: النموذج الكربلائي - الشهادة كخيار وإع لرفض الذل

لا يمكن فهم "عشق الشهادة" في فكر السيد نصر الله بمعزل عن النموذج التأسيسي في الوجدان الشيعي: واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع). كربلاء ليست مجرد ذكرى تاريخية مأساوية، بل هي مدرسة مستمرة تعلم الأجيال أن الشهادة يمكن أن تكون خياراً إرادياً واعياً للحفاظ على المبدأ ورفض حياة الذل والهوان. يستحضر السيد نصر الله هذا النموذج بشكل دائم، ويحول مقولات الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام إلى شعارات حية تشكل هوية المقاومة وعقيدتها القتالية.

- **"هيات منا الذلة" كعقيدة وجودية:** هذه المقولة الحسينية التي تلخص الخيار بين الموت بكرامة "السلة" والحياة بذل "الذلة" هي حجر الزاوية في فلسفة المقاومة لديه. هو لا يكتفي بترديدها، بل يعبر عن ارتباطه الشخصي العميق بها:

"وأنا أعشق هذه الجملة وأكرها وأعيدها... 'ألا إنَّ الدعيَّ ابن الدعيِّ قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيات منا الذلة'... من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام".⁶

عشقه لهذه الجملة هو في جوهره عشق للشهادة "مصارع الكرام" كخيار وجودي يرفض المساومة على الكرامة. هو يربط هذه التجربة بلحظات مصيرية في تاريخ المقاومة، كما حدث في حرب تموز 2006:

³ العهد، العدد 69، 17-10-1985

⁴ العهد، العدد 73، 14-11-1985

⁵ كلمة في ذكرى الشهداء القادة، 16-2-2019

⁶ كلمة أربعينية الإمام الحسين، 13-1-2012

"لم يمر في حياتي يوم اقتربت فيه من فهم الإمام الحسين (ع) وكربلاء إلا في الأيام الأولى من حرب تموز... فإما الاستسلام الذليل وإما السحق، الموت العزيز. في تلك اللحظة... الذي حضر في وجداني وفي عقلي وفي قلبي مباشرة يوم العاشر عندما وقف الإمام الحسين (ع) وقال: 'هيهات منا الذلة'.⁷

- "القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة" كتطبيع للموت وتسام به: هذه المقولة المنسوبة للإمام زين العابدين (ع)، يحولها السيد نصر الله من رد تاريخي إلى هوية ثقافية للمقاومة. تكرارها المستمر (في 1987, 1992, 2002, 2022, 2023) يهدف إلى أمرين: أولاً، تطبيع فكرة الموت في سبيل القضية وجعلها أمراً مألوفاً ومتوقعاً، كما قال في عام 1984: "لأن العادة عندنا أن نُقتل". ثانياً، التسامي بالقتل من حدث مأساوي إلى "كرامة" إلهية تُطلب وتُرجى. هذا يحول الشهادة من مصير يُخشى إلى شرف يُسعى إليه.

- "لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا" كتسليم مطلق للحق: هذا المنطق الحسيني، الذي يعبر عن حالة من الرضا والتسليم المطلق بالموت طالما أن المسيرة على حق، يتبناه السيد نصر الله بالكامل:

"نحن أبناء المدرسة التي قال فيها الحسين عليه السلام لولده علي الأكبر... 'ألسنا على الحق؟' قال 'بلى'. قال: 'إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا'.⁸

من خلال هذا النموذج، يصبح "عشق الشهادة" ليس رغبة في الفناء، بل هو التعبير الأسمى عن التمسك بالحياة الكريمة والعزيرة، حتى لو كان ثمنها بذل الروح.

المحور الثالث: البعد الفلسفي - الشهادة كحياة حقيقية وانتصار مطلق

يرفض السيد نصر الله بشكل قاطع الفكرة السطحية التي تساوي بين الشهادة والموت والفناء. بل على العكس، وبناءً على فهم قرآني ووجودي عميق، يقدم تعريفاً فلسفياً يعتبر الشهادة هي "الحياة الحقيقية" و"قمة الحياة وجوهرها".

في مرحلة مبكرة، عام 1986، أرسى أسس هذا الفهم بقوله:

"الشهيد يعطي حياته... لأن الحياة الحقيقية هي الحياة في ظل الإسلام، الحياة التي فيها عز وكرامة ورفع... ولذلك هذه الحياة هي التي يختارها الشهيد".⁹

"نحن نعتقد بأن الذي قدم روحه في سبيل الله، هو الراجح، والذي بقي في الدنيا، هو الخاسر".¹⁰

هذه الفكرة تتطور وتتعمق في خطابه اللاحق. ففي عام 2007، يقدم شرحاً مفصلاً لهذه الفلسفة التي ترى أن الشهادة تخلق حياتين:

⁷ كلمة في ذكرى القادة الشهداء، 16-2-2012

⁸ كلمة في عيد المقاومة والتحرير، 2017

⁹ العهد، العدد 110، 1-8-1986

¹⁰ العهد، العدد 115، 5-9-1986

"ليس في الشهادة موت... ففي اللحظة التي يُسفك فيها الدم بالشهادة، فإن الشهادة تصنع حياتين: حياة للأمة، وحياة أخرى جديدة للشهيد." ¹¹

إضافة إلى ذلك، تُقدّم الشهادة على أنها انتصار بحد ذاتها، وليست مجرد ثمن للنصر. هي "إحدى الحسينين"، أي إحدى الغايتين المثلّيتين للمعركة، إلى جانب النصر العسكري. هذا المفهوم يتكرر بشكل دائم في خطابه، مما يجعلها مطلوبة كهدف وليس كنتيجة عرضية:

"سوف نبقي نبحت عن جزاري هذه الأمة... ولننال إحدى الحسينين، إما النصر وإما الشهادة." ¹²
..."حتى يختم الله لنا بإحدى الحسينين أو كلا الحسينين، النصر أو الشهادة." ¹³

هذا الإطار الفلسفي يجعل "عشق الشهادة" أمرًا منطقيًا تمامًا ضمن منظومته الفكرية. فإذا كانت الشهادة هي قمة الحياة، وذروة الانتصار، والانتقال إلى عالم السعادة الأبدية، فلماذا لا تُعشق وتُطلب؟ هي ليست حبًا للموت، بل هي أسمى أشكال حب الحياة بمعناها الحقيقي والجوهرية. وهذا ما يلخصه في عام 2019 بقوله عن الشهداء:

"هنيئًا لكم هذا الفوز العظيم... لقد استرحتم من همّ الدنيا وغمّها وفزتم والله فوزًا عظيمًا." ¹⁴

إن معنى "عشق الشهادة" عند السيد نصر الله هو، إذن، تركيب معقد يجمع بين الشوق الروحي للقاء الله، والتمسك الأخلاقي بالكرامة على خطى الامام الحسين (ع)، والفهم الفلسفي للشهادة كحياة وانتصار. هو ليس مجرد استعداد للموت، بل هو سعي حثيث نحو ذروة الوجود الإنساني كما يراه.

القسم الثاني: صفات ولياقات السيد حسن الشخصية التي تؤكد عشقه للشهادة

لا يمكن لخطاب "عشق الشهادة" أن يكتسب كل هذه القوة والتأثير لولا اقترانه العضوي بشخصية قائله. فالمصادقية الشخصية للسيد حسن نصر الله، وتجاربه الذاتية العميقة، وتصريحاته الصريحة، تشكل دليلًا حيًا على أنه لا ينظر لمفهوم لا يؤمن به في أعماق وجدانه.

هذا القسم يستعرض الملامح الشخصية التي تجعل من السيد نصر الله تجسيدًا حيًا لهذا العشق، وتحول كلماته من مجرد خطاب سياسي إلى شهادة حياة.

المحور الأول: التصريحات الشخصية المباشرة - شهادات من القلب

على امتداد مسيرته، وفي لحظات مفصلية وحاسمة، أدلى السيد نصر الله بتصريحات شخصية مباشرة لا تترك مجالًا للشك في أنه يرى الشهادة كأمنية شخصية وغاية مرجوة. هذه التصريحات، التي غالبًا ما تأتي بضمير المتكلم المفرد "أنا"، هي تعابير عن حالة وجدانية عميقة وليست مجرد شعارات للاستهلاك العام.

¹¹ كلمة في افتتاح المجالس العاشورائية، 20-1-2007

¹² العهد، العدد 376، 13-9-1991

¹³ خطاب في يوم الشهيد، 12-11-2012

¹⁴ كلمة في يوم الشهيد، 11-11-2019

- الاعتراف الصريح بـ "عشق الشهادة": في عام 2017، وفي مقابلة مع التلفزيون الإيراني، قدّم التصريح الأكثر مباشرة ووضوحًا:

"لا شك بأنني عاشق للشهادة ولكن لا يجوز ان نتجاهل الأصول الأمنية ونقدم للعدو انتصارا مجانيا". هذا الاعتراف الصريح يضع حدًا لأي تأويل. فهو لا يصف حالة جماعية فحسب، بل حالة شخصية وذاتية، ويعترف بهذا العشق كجزء من تكوينه الروحي، مع الحفاظ على الحكمة العملية التي تقتضيها مسؤولية القيادة.

- الشهادة كأعلى أمنية وطموح: في مواجهة التهديدات الإسرائيلية المتكررة باغتياله، لم يُظهر أي خوف، بل قلب المعادلة، معتبرًا أن تحقيق هذا التهديد هو تحقيق لأعلى أمانيه. في عام 2008، قال:

..."بالنسبة لأي أخ منا عندما يحصل على تلك اللحظة لحظة الشهادة يكون قد ختم حياته في تحقيق أعلى أمانيه..."

15

وفي خطاب شهير بعد حرب تموز 2006، ربط مصيره الشخصي بالشهادة كخاتمة مشرفة لمسيرته، رافضًا أي اتهام بالخيانة:

..."أعاهدكم يا شعبنا الأبى والوفى والعظيم إنّي لا أطمح إلى أن أختم حياتي بالخيانة بل بالشهادة".¹⁶

استخدام كلمة "أطمح" هنا يدل على أنها هدف يسعى إليه بوعي وإرادة.

- الغبطة للشهداء: يتكرر في خطابات، خاصة في تأبين الشهداء الذين كانوا رفاق دربه، تعبيره عن "الغبطة"، وهي تمنى حال الشهيد دون زوال النعمة عنه. هذا الشعور يكشف عن شوق حقيقي للحاق بهم والوصول إلى منزلتهم:

"أنا شخصيًا بعد كل هذه السنين وهذه التجربة... يتبدل عندي منذ مدة طويلة الشعور إلى شعور بالغبطة، أنا أغبط هذا الشهيد القائد، أغبط كل هؤلاء الشهداء الذين رزقهم الله سبحانه وتعالى وسام الشهادة".¹⁷

"هنيئًا له الشهادة، أنا أغبطه على هذه الشهادة العظيمة وعلى هذه العاقبة الحسنة..."¹⁸

هذه التصريحات الشخصية تشكل العمود الفقري لمصداقيته. هو لا يدعو الآخرين إلى طريق لا يسير فيه بنفسه، ولا يطلب منهم تضحية لا يتمناها لنفسه.

المحور الثاني: القائد كأب لشهيد - تجربة هادي نصر الله

لعل العامل الأكثر تأثيرًا في ترسيخ صورة السيد نصر الله كقائد يعيش ما يقوله، هو استشهاد نجله البكر، السيد هادي، في مواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي عام 1997. هذا الحدث لم يكن مجرد مأساة عائلية، بل تحول إلى لحظة تأسيسية في علاقته بجمهوره ومفهوم الشهادة نفسه، مانحًا خطابه قوة وصدقًا لا يضاهيان.

¹⁵ كلمة في حفل إفطار هيئة الدعم، 2008-9-16

¹⁶ كلمة في ذكرى انتصار آب، 2006-9-22

¹⁷ كلمة في أسبوع الشهيد سمير القنطار، 2015-12-27

¹⁸ بيان تعزيةً بقيادة النصر الشهيد القائد الحاج قاسم سليمان، والشهيد القائد الحاج ابو مهدي المهندس ورفاقهما 2020

- **إلغاء المسافة بين القائد والقاعدة:** قبل استشهاد هادي، كان السيد نصر الله الأمين العام الذي يدعو للتضحية. بعد استشهاد، أصبح واحدًا من "عوائل الشهداء". هو لم يعد يتحدث عن ألم الفقد وفخر الشهادة من موقع المنظر، بل من موقع الأب الذي عاش التجربة بكل أبعادها. هذا الموقف ألغى أي حاجز نفسي بينه وبين الناس، وجعل كلماته في تأبين الشهداء تحمل صدقًا نابغًا من التجربة الحية.

- **القدوة العملية في أسمى صورها:** ردة فعله على استشهاد ابنه كانت درسًا بحد ذاتها. لم يظهر عليه جزع أو انهيار، بل ظهر متماسكًا، فخورًا، ومصرًا على مواصلة الطريق. موقفه الشهير عند استقباله وفود المهنيين والمباركين بالشهادة، وقوله "نحن نفتخر عندما يسقط لنا شهداء، ونرفع رؤوسنا بهم عاليًا"، ثم إصراره على عدم إجراء أي عملية تبادل خاصة لاستعادة جثمانه إلا ضمن صفقة تبادل تشمل جميع الأسرى والشهداء، رسّخ صورته كقائد لا يميز بين ابنه وبقيّة أبناء المقاومة. هذا الموقف جعله في نظر بيئته ليس مجرد قائد سياسي، بل "أبو الشهداء" ورمز للتضحية الحقيقية.

- **مصادقية لا تُجادل:** هذه التجربة الشخصية تمنح كل كلمة يقولها عن "عشق الشهادة" و"وسام الشهادة" مصداقية مطلقة. عندما يقول لعائلة شهيد "أبارك لكم"، فهو لا يتحدث من باب المجاملة، بل من موقع من يعرف معنى هذا "الوسام" الذي ناله بيته أيضًا.

المحور الثالث: الزهد والاستعداد الدائم للموت

تظهر شخصية السيد نصر الله ميلاً واضحاً للزهد وعدم التمسك بمظاهر السلطة أو الحياة الدنيا. هذا الزهد هو شرط أساسي لعشق الشهادة، فالتعلق بالدنيا يتنافى مع الشوق للآخرة.

- **عدم توقع البقاء على قيد الحياة كمنطلق للمسيرة:** في أكثر من مناسبة، كشف السيد نصر الله أنه ورفاقه في الجيل الأول للمقاومة لم يكونوا يتوقعون العيش طويلاً، وأن الشهادة كانت هي الأفق الطبيعي لمسيرتهم:

"نحن... أتينا إلى المقاومة ولم نكن نتوقع أن نبقى كل هذه المدة على قيد الحياة. أو أن تصبح لنا مكانة في لبنان أو العالم العربي. أو أن يصبح لنا نواب أو وزراء هذا لم يكن في بال أحد منا على الإطلاق".¹⁹

هذا التصريح يكشف عن ذهنية تأسست منذ البداية على فكرة أن الحياة هي استثناء، والشهادة هي القاعدة.

- **الاستعداد الدائم للمغادرة كثقافة شخصية:** تتكرر في خطابه عبارة "إذا بقينا على قيد الحياة"، والتي يوضح أنها ليست مجرد توقع أمني، بل هي جزء من ثقافته الإيمانية:

..."هذه ثقافتنا، يجب أن يشعر الإنسان دائماً أنه في أي لحظة من اللحظات يمكن أن يغادر هذه الحياة".²⁰

هذا الاستعداد النفسي الدائم للموت هو شكل من أشكال الرضا والتسليم بالشهادة كمصير محتمل ومقبول في أي لحظة.

¹⁹ مقابلة على تلفزيون المنار، 2007-1-19

²⁰ كلمة في يوم الجريح، 2024-02-13

- **تقديم النفس فداءً للقضية والقيادة:** يعبر عن استعداداته للتضحية بنفسه بشكل مطلق، سواء بالذهاب شخصياً إلى جبهات القتال أو بتقديم حياته فداءً لقيادته التي يؤمن بها، وهو شكل من أشكال طلب الموت في سبيل المبدأ: "إذا احتاجت المعركة مع هؤلاء الإرهابيين التكفيرين أن أذهب أنا وكل حزب الله إلى سوريا، سنذهب إلى سوريا."

21

"أنا من الذين يدعون في الليل وفي النهار أن يأخذ الله بقية عمري ويزيد في عمر هذا القائد (الإمام الخامنئي) العظيم والاستثنائي والتاريخي..."²²

إن هذه الصفات الشخصية، من التصريح المباشر، إلى تجربة التضحية بالأبن، إلى الزهد والاستعداد الدائم للموت، تجعل من خطاب "عشق الشهادة" للسيد نصر الله ليس مجرد نظرية فكرية، بل حقيقة حية تتجسد في شخصيته ومسيرته، وهي سر من أسرار قوته وتأثيره العميق.

القسم الثالث: دلالات عشق الشهادة عند السيد نصر الله

إن ثقافة "عشق الشهادة" التي يروج لها السيد حسن نصر الله ليست مجرد حالة روحانية فردية أو جماعية منعزلة، بل هي منظومة تحمل دلالات ووظائف عميقة ومتشابكة على مختلف الأصعدة: الاستراتيجية، السياسية، الاجتماعية، والنفسية. فهم هذه الدلالات يكشف كيف تحول هذا المفهوم إلى أداة فعالة في إدارة صراع غير متكافئ، وفي بناء مجتمع قادر على الصمود والمواجهة، وفي صناعة إنسان مقاوم قادر على تجاوز أعظم مخاوفه.

المحور الأول: الدلالة الاستراتيجية - الشهادة كسلاح ردع في حرب غير متكافئة

في مواجهة عدو متفوق عسكرياً وتكنولوجياً، تدرك المقاومة أن ميزان القوى المادي ليس في صالحها. هنا، يبرز "عشق الشهادة" كسلاح استراتيجي يقلب المعادلات التقليدية للحرب، ويخلق حالة من الردع غير المسبوقة.

- **تحييد سلاح الخوف والإرهاب النفسي:** يعتمد العدو الإسرائيلي، ومن خلفه الولايات المتحدة، بشكل أساسي على سلاح الردع النفسي، أي بث الخوف من الموت والدمار والقتل. خطاب "عشق الشهادة" يعمل على تحييد هذا السلاح بشكل كامل. عندما يعلن قائد المقاومة أن التهديد بالقتل هو موضع ترحيب لأنه يحقق "أغلى الأمان"، فإنه يُسقط من يد عدوه أقوى أوراقه. المقولة التي يكررها دائماً هي التجسيد الأمثل لهذه الاستراتيجية:

"أبالقتل تهددنا يا ابن الطلقاء فالقتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة." هذه الرسالة تعني للعدو: "لا يمكنك أن تهزمني بما أعتبره أنا قمة انتصاري".²³ التهديد بالقتل لا يعود تهديداً، بل يصبح وعداً بتحقيق غاية مرجوة.

²¹ خطاب في عيتا الشعب، 16-8-2013

²² كلمة في ذكرى انتصار الثورة الإسلامية، 6-2-2019

²³ العهد، العدد 146، 11-4-1987

- **صناعة المقاتل الذي لا يُهزم:** هذه الثقافة تنتج نوعاً فريداً من المقاتلين. المقاتل الذي لا يخشى الموت، بل يطلبه كغاية شريفة، هو مقاتل يصعب رده أو كسر إرادته. هو يقاتل بعقيدة وليس فقط بمهارة عسكرية. هذا ما أشار إليه في عام 2018، معتبراً أن هذا هو أهم عناصر القوة:

"من أهم عناصر القوة... أن المعركة الكبرى مع الصهاينة... يوجد فيها مئات الآلاف من المقاتلين المستعدين لخوضها بلا حساب وهؤلاء من عشاق الشهادة."²⁴

هذا "المخزون البشري" المستعد للتضحية هو رصيد استراتيجي لا يقدر بثمن، وهو ما يفسر كيف أن المقاومة "ستزداد قوة وعدداً وعدة" حتى في ظل أصعب الظروف الاقتصادية.

- **فرض معادلات ردع جديدة:** العمليات الاستشهادية في بدايات المقاومة (1985)، التي وصفها بأنها نتاج "عشق وحب وارتباط بالله"، فرضت معادلة ردع جديدة وأجبرت القوات متعددة الجنسيات والاحتلال الإسرائيلي على الانسحاب من مناطق واسعة. هذه العمليات أثبتت أن قوة الإيمان وعشق الشهادة يمكن أن تتغلب على القوة العسكرية الجبارة.

المحور الثاني: الدلالة الاجتماعية والسياسية - بناء وتماسك "مجتمع المقاومة"

لا تقتصر وظيفة هذا الخطاب على الجبهة العسكرية، بل تمتد لتشمل بناء وتماسك البيئة الحاضنة للمقاومة، وتحويلها إلى "مجتمع مقاوم" بكل مكوناته.

- **إعطاء معنى للتضحيات وصناعة الفخر:** في أي حرب، تشكل الخسائر البشرية عبئاً نفسياً واجتماعياً هائلاً. خطاب "عشق الشهادة" يعيد تأطير هذه الخسائر. الشهيد ليس "قتيلاً" أو "ضحية"، بل هو "فائز" و"رايح" و"صانع نصر" و"وسام إلهي". هذا الخطاب يمنح العائلات المكلمة إحساساً بالفخر والغاية، ويحول الحزن إلى قوة دافعة للاستمرار.

"ببركة عوائل الشهداء هؤلاء كبرت وتعاضمت هذه المقاومة... وكانوا حجة الله على الناس بصبرهم ووعيمهم واحتسابهم
ورضاهم..."²⁵

"دماء الشهداء أحييت نفوس شبابنا وأجيالنا وشعبنا... وقدمت ما هو ضمانة الاستمرار في طريق المقاومة."²⁶

- **تعزيز الشرعية السياسية والأخلاقية:** إن تقديم القادة والكوادر كشهداء، وعلى رأسهم أمين عام (السيد عباس الموسوي) وابن الأمين العام الذي تلاه (السيد هادي)، يمنح المقاومة شرعية أخلاقية وسياسية عميقة. هي ليست حركة ترسل أبناء الفقراء للموت بينما يتمتع قادتها بالحياة، بل هي حركة يتقدم فيها القادة الصفوف ويكونون أول المضحين.

"إننا في مسيرتنا لا نبخل بكوادرنا وقياداتنا وبعلمائنا، كلهم يحملون نفس الشوق للشهادة..."²⁷

²⁴ حوار مع قناة الميادين، 2018

²⁵ كلمة في يوم الشهيد، 2019-11-11

²⁶ كلمة في مهرجان يوم الشهيد 2015-11-11

²⁷ العهد، العدد 214، 1988-7-29

- **خلق هوية جماعية صلبة:** ثقافة الشهادة تخلق هوية مشتركة قائمة على قيم التضحية والإيثار والصبر والارتباط بالرموز المقدسة. هذه الهوية تجعل المجتمع أكثر تماسكاً وقدرة على تحمل الحصار والعقوبات والضغط. يصبح الانتماء للمقاومة ليس مجرد موقف سياسي، بل هو انتماء لعائلة كبيرة من الشهداء والجرحى والأسرى وعوائلهم.

المحور الثالث: الدلالة النفسية - تحويل الضعف إلى قوة والأمل إلى أمل

على المستوى النفسي الفردي والجماعي، يلعب خطاب "عشق الشهادة" دوراً تحويلياً عميقاً في إدارة المشاعر الإنسانية في سياق الحرب والصراع.

- **التغلب على الخوف الوجودي من الموت:** الخوف من الموت هو أعمق المخاوف الإنسانية. من خلال تقديم الشهادة كـ "حياة حقيقية"، "لقاء مع الله"، و"فوز عظيم"، يتم تفكيك هذا الخوف واستبداله بالشوق والأمل. هذا التحول النفسي يحرر الإنسان من قيود الخوف ويطلق طاقات هائلة من الشجاعة والإقدام.

- **تحويل الهزيمة المحتملة إلى نصر معنوي:** حتى في حال الخسارة العسكرية، تضمن ثقافة الشهادة تحقيق "نصر معنوي". فما دام المقاتلون قد قاتلوا ببطولة واختاروا "مصارع الكرام على طاعة اللئام"، فإنهم منتصرون في ميزان القيم والمبادئ. هذا ما قصده بقوله:

"ليس المهزوم من يقتل وإمّا المهزوم من لا يستطيع أن يحقق أهدافه، ونحن وفقنا الله لنحقق أهدافنا لأن هدفنا الأكبر هو اللقاء معه وقد حصل الشهداء على ذلك." ²⁸

بهذا المنطق، لا توجد هزيمة حقيقية. إما نصر عسكري، أو نصر بالشهادة، وكلاهما "فوز" في ثقافته.

- **توليد الأمل والتفاؤل من رحم التضحية:** بدلاً من أن يكون سقوط الشهداء مدعاة لليأس والإحباط، يقدمهم السيد نصر الله كمصدر للتفاؤل وضمانة للمستقبل. دماء الشهداء لا تذهب هدرًا، بل هي التي تروي شجرة النصر القادم. "ثقوا دائماً ولأن في تاريخنا كربلاء ولأن في شبابنا مجاهدين وشهداء ننظر إلى مستقبلنا نظرة التفاؤل والطمأنينة..."

29

إن دلالات "عشق الشهادة" تتجاوز بكثير مجرد الرغبة في الموت. إنها استراتيجية متكاملة للردع، ومنهج لبناء مجتمع صامد، وفلسفة نفسية لتحويل أعمق المخاوف الإنسانية إلى مصدر للقوة والأمل والانتصار.

القسم الرابع: السيد نصر الله كقدوة لعشاق الشهادة ومربٍ للشهداء

إن تأثير خطاب السيد حسن نصر الله لا يكمن فقط في قوة محتواه الفكري، بل في قدرته الفائقة على أن يكون هو نفسه القدوة الأولى والمربي الأبرز في "مدرسة عشق الشهادة". هو لا يكتفي بالتنظير لمفاهيم روحانية عالية، بل

²⁸ خطاب عاشوراء، 1992

²⁹ العهد، العدد 379، 4-10-1991

يجسدها في شخصيته ومسيرته، ويستخدم منبره كأداة تربوية فعالة لغرس هذه الثقافة في وجدان جيل كامل من المقاومين وتحويلها إلى واقع حي معاش.

المحور الأول: القائد القدوة - "كونوا معنا حيث نكون"

المبدأ الأساسي في القيادة الملهمة، خصوصاً في الحركات الجهادية، هو أن يتقدم القائد الصفوف ويكون أول من يطبق ما يدعو إليه. السيد نصر الله يدرك هذا المبدأ بعمق، ويقدم نفسه دائماً كجزء لا يتجزأ من مسيرة التضحية، وليس كقائد معزول يرسل الآخرين إلى الموت.

- القيادة من الخطوط الأمامية المعنوية والمادية: تصريحه الشهير بالاستعداد للذهاب بنفسه إلى سوريا هو مثال صارخ على هذه العقلية القيادية:

"إذا احتاجت المعركة مع هؤلاء الإرهابيين التكفيرين أن أذهب أنا وكل حزب الله إلى سوريا، سذهب إلى سوريا".

30

هذه العبارة لا تعني مجرد قرار سياسي، بل هي رسالة للمقاتلين مفادها: "أنا معكم في نفس الخندق، وأواجه نفس المخاطر، ومستعد لنفس المصير". هذه القيادة بالقدوة هي التي تمنح أوامره وقراراته وزناً أخلاقياً ومعنوياً هائلاً.

- التضحية الشخصية كدليل صدق مطلق: كما ذكرنا سابقاً، فإن استشهاد نجله هادي هو الدليل العملي الأسمى على أنه قائد قدوة. هو لم يطلب من الناس ما لم يقدمه هو أولاً. وهذا ما يجعله في نظر مقاتليه وجمهوره "القائد الصادق" الذي يمكن الوثوق به واتباعه حتى الشهادة، لأنه أثبت أنه لا يفرق بين دمه ودمائهم.

- رفض الأمن الشخصي كغاية والتطلع للشهادة: في مواجهة التهديدات المستمرة باغتياله، يؤكد السيد نصر الله أن بحثه ليس عن أمنه الشخصي، بل عن أمن وطنه وأمنته، وأن أمنيته الشخصية هي الشهادة:

"نحن لا نبحث عن أمن شخصي، بالعكس كل منّا يعيش ساعات أيامه ولياليه وأغلى أمانيه أن يقتل في سبيل الله عز وجل".³¹

هذا الموقف يجعله القدوة المثلى للمقاتل الذي يُطلب منه التخلي عن أمنه الشخصي في سبيل القضية الكبرى.

المحور الثاني: الخطاب كمنصة تربوية - صناعة الوعي المقاوم

يستخدم السيد نصر الله خطابه، خاصة في المناسبات الدينية والجهادية (عاشوراء، يوم الشهيد، ذكرى القادة الشهداء)، كمنصات تربوية مركزية لبناء وتعميق ثقافة عشق الشهادة، وتحويلها من فكرة إلى عقيدة راسخة.

³⁰ كلمة في ذكرى إنتصار آب 16-8-2013

³¹ كلمة في ذكرى الشهداء القادة، 17-2-2005

- **التكرار المنهجي للمفاهيم الأساسية:** يحرص على تكرار المفاهيم الأساسية ("القتل لنا عادة"، "هيهات منا الذلة"، "النصر أو الشهادة") في كل مناسبة تقريبًا. هذا التكرار ليس عفويًا، بل هو عملية تربوية تهدف إلى ترسيخ هذه المفاهيم في اللاوعي الجماعي حتى تصبح جزءًا من هوية الفرد والمجتمع، ومنظورًا يُنظر من خلاله إلى كل الأحداث والتحديات.

- **استحضار نماذج الشهداء كمعلمين:** لا يتحدث عن الشهادة كمفهوم مجرد، بل يقدمها من خلال قصص وسير الشهداء القادة (السيد عباس، الشيخ راغب، الحاج عماد، الحاج قاسم سليماني الحاج ابو مهدي المهندس ...) والمقاتلين الشهداء. هو يستعرض صفاتهم: إخلاصهم، شجاعتهم، زهدهم، وشوقهم للشهادة، ويحولهم إلى أساتذة في مدرسة العشق الإلهي:

"نجلس في محضرهم، نتلمذ عليهم، نُصغي إلى كلماتهم، نُسعيد مواقفهم ونتعلم منهم دروس الإخلاص، والصدق، والطهارة... وعشق الشهادة."³²

بهذه الطريقة، يحول الشهداء إلى نماذج حية يمكن للأجيال الجديدة الاقتداء بها، ويصبح هو المرئي الذي يشرح دروس هؤلاء "المعلمين" الشهداء.

- **الربط الدائم بين الحاضر والماضي المقدس:** من خلال ربط كل معركة معاصرة بملحمة كربلاء، وكل شهيد بمعسكر الإمام الحسين، فإنه يمنح التضحيات الحاضرة عمقًا تاريخيًا وقداً دينية. المقاتل لا يشعر أنه يموت في معركة سياسية عابرة، بل يشعر أنه يشارك في امتداد لصراع أبدي بين الحق والباطل، وأنه يلتحق بركب مقدس. هذا الربط هو أداة تربوية فعالة للغاية في رفع المعنويات وتعميق الالتزام.

المحور الثالث: بناء سلسلة متصلة من التضحية - "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر"

جزء أساسي من دوره كمرتب هو تقديمه للمقاومة كمسيرة مستمرة لا تنتهي باستشهاد قائد أو جيل. هو يزرع فكرة أن الشهادة ليست نهاية الطريق، بل هي تسليم للراية من جيل إلى جيل.

- **الوفاء للشهداء بإكمال طريقهم:** الشعار الذي انطلق منه منذ البدايات هو أن الوفاء للشهداء لا يكون بالبكاء عليهم، بل بإكمال مسيرتهم وتحقيق أهدافهم:

"في يوم الشهداء لن نقف لنبيكي إنما لنكمل طريق الشهداء".³³

"في هذا اليوم يجب أن نتحمل المسؤولية والوفاء للشهداء في إكمال طريقهم".³⁴

هذه الفكرة تحول كل شهيد يسقط إلى دافع إضافي للاستمرار، وتضع على عاتق الأحياء مسؤولية مواصلة المسيرة حتى تحقيق نفس المصير: النصر أو الشهادة.

³² كلمة في ذكرى القادة الشهداء، 16-2-2023.

³³ العهد العدد السابع عشر 19-10-1984

³⁴ مصدر سابق

- "ومنهم من ينتظر" كهوية للمجاهد الحي: يستشهد السيد نصر الله بالآية القرآنية الكريمة "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" ليصف حال المقاومين. هو يضع نفسه ورفاقه الأحياء في خانة "المنتظرين" لدورهم في نيل وسام الشهادة.

"أما هم ففقدوا نحبهم، وأما نحن فما زلنا ننتظر ولم نبدل تبديلاً..."³⁵ هذه العبارة تخلق إحساساً بالترقب والاستعداد الدائم، وتجعل من الحياة الدنيا مجرد محطة انتظار للحاق بركب الشهداء، وتحول المقاتل الحي إلى "شهيد حي" أو "مشروع شهيد".

- الشهادة كرزق إلهي يُسأل ويُرجى: في دعائه وخطابه، يصف الشهادة بأنها "رزق" و"وسام إلهي" يمن الله به على من يشاء. هذا التصور يخرج الشهادة من دائرة الفعل البشري المحض ويضعها في سياق الاصطفاء الإلهي، مما يجعلها غاية يتنافس عليها المتنافسون ويدعون الله لنيلها.

"ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بأن يرزقنا هذا الوسام الإلهي الرفيع الذي من به عليهم".³⁶

بهذه الطرق، لا يعود السيد نصر الله مجرد قائد سياسي أو عسكري، بل يتحول إلى مربٍ حقيقي، وقدوة ملهمة، ومرشد روحي في "مدرسة عشق الشهادة". هو لا يصنع مقاتلين فحسب، بل يصنع "طلاب شهادة" و"عشاق لقاء"، وهذا هو سر استمرارية مسيرته وقوتها الروحية والمعنوية.

خلاصة واستنتاج

على مدى أربعة عقود من الزمن، ومن خلال مئات الخطابات والكلمات، نسج سيد شهداء الأمة السيد حسن نصر الله (قدس) خطاباً متماسكاً، عميقاً، ومتعدد الأبعاد حول "عشق الشهادة"، محوِّلاً إياه من مفهوم ديني إلى فلسفة حياة، واستراتيجية صمود، ومنهج تربوي متكامل. أن "عشق الشهادة" في منهجه هو في جوهره أسمى تجليات حب الحياة الكريمة، والتمسك بالكرامة الإنسانية، والشوق الروحي للقاء الخالق في أبهى صور الوصال.

إن معنى هذا العشق عند السيد نصر الله يتأسس على أركان متينة :

- أ- البعد الروحي الذي يرى في الشهادة ذروة العلاقة العشقية مع الله.
- ب- النموذج الكربلائي الذي يقدم الشهادة كخيار واعٍ ومبدئي لرفض الذل والهوان.
- ت- البعد العقائدي الذي يعيد تعريف الموت كحياة حقيقية ويعتبر الشهادة هي الانتصار الأسمى، إحدى "الحسينيين" التي يتطلع إليها كل مؤمن.

هذا الخطاب يكتسب قوته ومصادقته من شخصية قائله. فمن خلال تصريحاته الشخصية المباشرة التي يعبر فيها عن شوقه وغبطته للشهادة، وتجربته الإنسانية العميقة كأبٍ لشهيد، وزهده الواضح في مظاهر الدنيا، يقدم السيد نصر الله نفسه كدليل حي على صدق ما يدعو إليه. هو لا ينظر من بعيد، بل يعيش المبدأ الذي يكرس حياته لترسيخه، مما يلغي المسافة بين القول والفعل، وبين القائد والقاعدة.

³⁵ كلمة في يوم الشهيد، 6-11-1992

³⁶ كلمة في يوم الشهيد، 11-11-2022

وقد استعرضنا الدلالات العميقة لهذه الثقافة، وكيف تحولت من مجرد حالة وجدانية إلى سلاح استراتيجي فعال في مواجهة عدو متفوق ماديًا، حيث تعمل على تحييد الخوف وتصنع المقاتل الذي لا يُهزم. كما أنها أداة لبناء "مجتمع مقاوم" متماسك، يجد في تضحياته معنى وفخرًا، ووسيلة نفسية لتحويل الألم والخسارة إلى مصدر للقوة والأمل والتفاؤل بالمستقبل.

وأخيرًا، تجلّى لنا دور السيد نصر الله كقائد قدوة ومرّب للأجيال، حيث يستخدم منبره ببراعة كمنصة تربوية لغرس هذه القيم، مقدمًا الشهداء القادة كنماذج يُحتذى بها، ومؤكّدًا على أن مسيرة التضحية هي سلسلة متصلة ومستمرة، يسلم فيها الشهيد الراية لمن بعده، في حالة انتظار دائم لنيل "وسام الشهادة الرفيع".

في المحصلة النهائية، إن "عشق الشهادة" عند السيد حسن نصر الله هو مفتاح فهم جوهره ليس فقط لإيديولوجية حزب الله، بل لسر صموده وقدرته على الاستمرار وتحدي موازين القوى لعقود طويلة. إنه البرهان العملي على أن قوة العقيدة، حين تتجسد في قائد قدوة وتتحول إلى ثقافة مجتمعية راسخة، يمكنها أن تصنع ما تعجز عنه الجيوش والترسانات. هو ليس عشقًا للموت، بل هو في نهاية المطاف، عشقٌ للمعنى السامي الذي من أجله تستحق الحياة أن تُعاش، وأن تُبدل.